# الفصل الثانى

# موقف الغرب من الإسلام

# موقف الغرب من الإسلام

## مقدمة:

الإسلام والغرب .. يحتدم الصراع ويخفت، أطوار تبادلية عبر التاريخ، الإسلام يخترق العمق الإستراتيجي للغرب، الغرب يمتص العالم الإسلامى إلى بطون امبراطورياته .. وينتقل الصراع من مرحله إلى مرحلة، ومن شكل إلى شكل .. وقد بشر فوكوياما بنهاية التاريخ أو نبه هينتنجتون إلى صدام حتمي بين مجموعة حضارات وبالتحديد الحضارة الإسلامية والغربية بشكل خاص. وأن التقارب والتعايش المزعوم لا يتبنى فيه الأطراف المتصادمة محاولات تخرج عن إطار صبغ الآخر بصبغته أو محاولة إفشاء القيم الخاصة فى مجتمع الآخر بعد تدمير قيمه، أو بشكل آخر تقبل الآخر ضمن المصالح الخاصة والرؤية الخاصة، وهذا واضح أكثر عن طبيعة العلاقة بين الإسلام والغرب، عندما يعلق على مماطلة أوروبا فى قبول تركيا ضمن الاتحاد الأوروبى، حيث قال الرئيس التركى الراحل (أوزال) فى ذلك: "إننا مسلمون، وهم مسيحيون، وهم لا يفصحون عن هذا"[1].

هينتنجتون يطرح رؤيته للقرن القادم،والتي تقوم على أن التاريخ لم ينته، ولم ينته الصراع فيه ، ولم تغلق ملفاته بسقوط الاتحاد السوفيتي، وسقوط الخطر الشيوعي معه ، بل لا يزال في جعبة التاريخ سهام لم يرم بها بعد، ولا يزال الصراع كامنًا،وأسبابه قائمة، ولكن أسباب الصراع ليست بسبب الأيديولوجيات المختلفة والمتناقضة كالشيوعية الدكتاتورية ، والرأسمالية الليبرالية، فالصراع الذي يخبئه المستقبل سيكون سببه اختلاف الحضارات أو الثقافات وتناقضها . ومحاولة كل حضارة أن تثبت وجودها، وتفرض رؤيتها للإنسان والكون والدين والحياة والتاريخ[2].

ويعلق (برمان بيدهام) بعمق فى دراسة نظرية "صدام الحضارات" لهينتنجتون، ليؤكد إن الصراع ينحصر بين الإسلام والغرب.

لكن القضية الاكثر أهمية هى: كيف تحرر العلاقات التقليدية من إسار النزاع والصراع التاريخى؟ وكيف يكون هناك تواصل خلاق يخلق من الوضع العالمى مناخًا ينمو فيه الجميع، بحيث يكون صراعهم مع مشكلات الحياة على هذا الكوكب وما يتهدده من أخطار مثل:

---

(١) جودت سعيد: الإسلام والغرب والديمقراطية ص١٢- ١٣ ، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

(٢) يوسف القرضاوي : المسلمون والعولمة ، ص ١١١، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ٢٠٠٠م.

الخطر النووى، التلوث البيئى، والجوائح الضارية .. وغيرها، إضافة إلى تحقيق واقع أكثر سببًا فى إنسانية الإنسان[(١)].

وقد تكون هذه الصورة رومانسية إلى حد بعيد .. لكن القرن الحالى – الواحد والعشرين – سيفرض تصورًا قريبا .. ويبدو أن الخيارات القادمة ستضع العالم أمام أحد مصيرين: حرب عالمية ثالثة تدمر كل شيء، أو عالم تعددى متفاهم، مطلوب من قبل مفكرى الغرب قبل مفكرى الإسلام والمسلمين.

**ما الغرب؟**

**الغرب اصطلاحًا:** هو الحضارة الغربية التى تشمل قارتى أوروبا وأمريكا الشمالية. وقد ازدهرت هذه الحضارة فى أوربا بداية فى العصر الأوروبي الوسيط، وكان للدين المسيحى دور بارز فيها، ثم تخلفت، ولم تلبث أن ازدهرت مرة أخرى منذ عصر (النهضة الأوروبية) مستلهمة حضارتى الإغريق والرومان فى العصر الأوربى القديم، ومتأثرة باحتكاكها بحضارة الإسلام، ودخلت عصر "التنوير الأوربي" الذى برزت فيه "علمانية" تجاهلت الدين وواجهت الكنيسة فى العصر الأوربي الحديث. وامتدت إلى قارة أمريكا الشمالية أثر الكشوفات الجغرافية الأوروبية. وهى الآن تعيش عصر "ما بعد الحداثة" الذى يشهد مراجعة لأفكار عصر "التنوير الأوربي" وظاهرة "إحياء روحى"[(٢)].

لكن هناك سؤال يتناول بعدًا أعمق فى مجال البحث، هو: أى غرب؟ فنحن نتساءل عن الغرب الذى نبحث عن علاقة الإسلام به، أو عن مواجهة الإسلام له، أى غرب؟

هل هو الغرب المسيحى فى تجربته مع الإسلام فى إسبانيا من خلال تفاعله مع العرب المسلمين فيها، والمآثر التى أبدعها المسلمون؟

أو هو الغرب الصليبى الذى خاض الإسلام معه تجربة الحروب الصليبية؟ ثم حروب الاستقلال بعد مرارات الاحتلال؟ هل البحث عن الإسلام فى الغرب على أرض غربية وفى محيط مسيحى؟ أو عن الغرب فى أرض مسلمة، كما تبدى الغرب فى الحروب الصليبية؟

---

(١) المرجع نفسه: ص ١٥– ١٦.

(٢) أحمد صدقى الدجانى: آفاق المستقبل فى علاقات الإسلام والغرب، ص ٧٠٦، بحث متقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الاعلى للشؤون الإسلامية المنعقد بالقاهرة فى الفتره من ١٨-١١ ربيع الأول ١٤١٨هـ، ١٣-١٦ يولية ١٩٩٧م . بعنوان :"الإسلام والغرب: الماضى – الحاضر – المستقبل، ١٩٩٨م.

الحقيقة أننا نواجه صورتين للغرب:

الأولى: الغرب الذى اعتنق المسيحية، وتحرك من خلالها وتحت شعارها باتجاه الإسلام متمثلًا بالحروب الصليبية، وبقى يستبطن هذا الاتجاه ويعبر عنه إلى الحرب العالمية حين وقف الجنرال (اللنبى) على قبر صلاح الدين فى دمشق وقال: (الآن انتهت الحروب الصليبية).

الثانية: الغرب الذى تحرك باتجاه الإسلام، واستحوذ على بلاد الإسلام بقوته القوية الغالبة، وبروحه المادية العلمانية، وبالرؤية الوضعية للعالم[1].

لذا يجب التأكد من أننا نحاور الغرب المسيحى أو الغرب المادى العلمانى؟ فالغرب المسيحى الذى يستنبط الإيمان المسيحى وأخلاق المسيحية، ويتصرف وفق هذا الإيمان وهذه الأخلاق، لم يتحقق فى التاريخ أنه افتراضى ودعوى.

وأى غرب نقصد حتى وإن اعتمدنا التقسيم الجغرافى مقياسًا؟ هل نقصد أوربا والولايات المتحدة الأمريكية ، ونغفل أوربا الشرقية وأمريكا اللاتينية؟ وإذا كان الغرب المسيحى هو المخاطب والطرف المواجه للمسلمين، فهل صحيح أن المسلمين شرق؟ وإذا صح ذلك، فهل غير المسلمين من أتباع الأديان السماوية الأخرى وغير السماوية أيضًا غرب؟ أليس فى الشرق غير المسلمين أيضًا، وكذلك فى الغرب مسلمون؟

إن الغرب الحقيقى الذى وجد فى التاريخ الحديث – منذ خرج من القرون الوسطى – واستحوذ على الدور الأهم فى شئون العالم، هو الغرب الماثل أمام الإسلام والمسلمين الآن، هو الغرب الذى يقوم على الفكر الوضعى فى مجال العلوم، وعلى أخلاق المنفعة فى السلوك، ويتنكر للقيم الأخلاقية التى بشرت بها المسيحية فى المضمون الداخلى للإنسان، ويزج بالإنسان فى حياة استهلاكية تقوم على الثقافة الحسية البصرية، وعلى تقديس مبدأ اللذة والمنفعة[2].

نستخلص من ذلك: أن الغرب منظومة حضارية مترابطة ومتكاملة من القيم والمبادئ والأفكار والمذاهب والسياسات تضج بالحركة ، وتبحث عن مصالحها وتضعها فى مقدمة أولوياتها، وتتعامل مع العالم من منطلق الحرص على هذه المصالح واستثمارها وتنميتها والحفاظ عليها بكل الوسائل والطرق. هذا هو الغرب الذى يواجه الآن عالم الإسلام،

---

(١) محمد مهدى شمس الدين: الإسلام والغرب الواقع وآفاق المستقبل، ص٦٠٥، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، مرجع سابق.
(٢) محمد مهدى شمس الدين : مرجع سابق.ص٦٠٦.

الغرب الذى استغل المسيحية أو شوهها، الغرب كما يتمظهر فى سياساته الاستحواذية وجامعاته وجيوشه وأسلحته ومصارفه وشركاته العملاقة المتعددة الجنسيات لا المسيحية ولا الغرب المسيحي الذى يستمد مفاهيمه فى النظر إلى الكون والحياة والإنسان منها، ويقيم سلوكه على هداها.

والمسيحية تلتقى مع الإسلام ويلتقى معها الإسلام على قيم مشتركة مبنية على المبادئ العامة والكبرى للإيمان الإبراهيمى الذى يلتقى عليه المسلمون والمسيحيون، أو يمكن أن يلتقيا على حياة مشتركة وعيش مشترك يقوم على التعاون والبر.

**موقف الغرب من الإسلام:**

إنَ مواقف الغرب من الإسلام والمسلمين، منذ بداية التماس بينهما، تنطلق من إنكار الآخر (الإسلام)، فالغرب من خلال استغلاله لخطاب الكنيسة الدينى، ومن خلال الخطاب العلمانى، كان ( ولا يزال) موجهًا مسيرًا بفكرة أساسية فى موقفه من الإسلام والمسلمين، وهى إنكار وجود المسلم) باعتباره تعبيرًا عن دين وثقافة وحضارة يصلح أن يكون شريكًا فى صنع التاريخ، وعدم الفحص عن وسائل التواصل معه والاعتراف به، والتكامل أو التعامل معه. إنَ الغرب بإنكاره للمسلم على هذا النحو يضعه بين خيارين[1]:

**الأول**: أن يكون الآخر (مسلمًا أو غير مسلم) إنسانا (متغربًا) فى نمط حياته، محاكيًا للغرب فى القيم الحاكمة والموجهة لسلوكه الشخصى والعائلى. وفى هذه الحالة يكون (الآخر) نسخة غير مكتملة؛ لأن الغرب كما لا يرغب بالاعتراف بالآخر المغاير، لا يقبل أيضًا من الآخر أن يتماثل معه ويساويه. إنه يقبل به نسخة مقلدة لا أصلية. إن هذه هى الحالة الغالبة على إنسان البلاد المستعمرة فى قمة المجتمع.

**الثانى**: أن يكون فريسة، وذلك حين يرفض الآخر أن يكون شبحًا ونسخة مشوهة. إنه يغدو خارجًا عن الحضارة، بربريا، منحطا، وهذا يبرر افتراسه واستباحة محاربته.

هذه هى النظرة التي كانت حاكمة، والتي تبدو لنا أنها لا تزال حاكمة على موقف الغرب من الإسلام، وهى التي تملى المواقف، وترسم السياسات الأمنية والاقتصادية.

وهذه النظرة تتغذى الآن من الحركة الصهيونية وتغذيها فى الوقت نفسه.

---

(١) المرجع السابق: ص ٦٠٥.

لكن قد نجد فى بعض الجامعات وبعض الدوائر الثقافية بعض المواقف المنصفة، ولكنها مواقف ليس لها دور يذكر فى التأثير على سير الأحداث وبناء السياسات التى تطبق على العالم الإسلامى. مثلما حدث من مظاهرات شعبية واحتجاجات من بعض الدوائر الثقافية فى أمريكا وإنجلترا وإسبانيا وإيطاليا واليابان وألمانيا .. وغيرها من دول الغرب تجاه الحرب (الغزو) فى العراق.

لذا نجد أن موقف الغرب من الآخر إذا كان مسلمًا فإنه يكون أشد عدائية مما إذا كان غير مسلم، فالحضارات غير الإسلامية تجد بعض الاعتبار والإعجاب، أما الإسلام فلا يجد شيئًا من ذلك على الإطلاق.

فموقف الغرب من الإسلام قد قام على الكراهية والتعصب –للأسف الشديد - ولا نريد أن نتعمق فى التاريخ لكى نظهر هذه الحقيقة التى لا ينكرها المنصفون من مفكرى الغرب أنفسهم، جاءت هذه الكراهية بسبب تفوق المسلمين عندما قاموا بنشر تعاليم الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ولإحساس الغرب دائمًا أنه أفضل من غيره وأنه المتميز "فكرة الجنس الآرى"، وأن غيره غير متمدينين[1].

غذت هذه الأفكار روح الأوروبيين الذين قادوا الحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين فى العصور الوسطى، كما دفعتهم دفعًا إلى استعمار العالم تحت دعاوى غريبة كدعوى تمسيح البرابرة، وإحلال بركات التمدن الأوروبى على العالم، بل فى تصور "مونتيسكيو" فيلسوف الثورة الفرنسية والداعى إلى تحقيق الحريات لكل الناس "أن هذه الأجسام – يقصد الزنوج – شديدة السواد من قمة الرأس إلى أخمص القدم، ولا شك أن روح الله – وهو روح خيرة تكره الشر – لا يمكن أن تحل بأجسام بهذا السواد"[2].

ولا شك أنه مما يدحض فكرة صراع الحضارات، تلك الحروب الدامية التى جرت فى داخل أوروبا، والحربين العالميتين الأولى والثانية والتى قامت بسبب التنافس الاقتصادى بين دول أوروبا القوية والصراع على التقدم والأولوية والصدارة على العالم، وهى حروب وصراعات جرت بين من ينتمون إلى حضارة واحدة هى الحضارة الغربية.

كما أن الاختلاف الأيديولوجي الحاد بين المعسكر الشرقى بقيادة الاتحاد السوفيتي سابقًا، والمعسكر الغربى بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وما أعقبه من صراعات فى

---

(١) جعفر عبد السلام: نحو بلورة معاصرة للعلاقة بين الإسلام والآخر، ص٣٤، من سلسلة فكر المواجهة (٢)، تصدرها رابطة الجامعات الإسلامية ندوة بعنوان "الإسلام وحوار الحضارات"، دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(٢) جعفر عبد السلام: مرجع سابق: ص ٣٤.

فترة الحروب الباردة، قد قام أساسًا بين دول تنتمي إلى الحضارة الغربية، مما يوضح أن الصراعات تتصل بالخلاف حول المصالح، وليس لها صلة بالخلاف الحضاري[1].

## موقف الإسلام من الغرب:

في مقابل هذا الموقف من الغرب تجاه الإسلام، ما هو موقف الإسلام من الغرب؟ وهل الغرب موضع اهتمامنا الفعلي؟.

إن موقف الإسلام من الغرب يتقيد بشرط واحد هو: المسالمة وعدم الاعتداء، فإذا كان هذا الغرب راغبًا بالتعاون أو محايدًا، فإن الإسلام يعترف به، ويعترف بإنسانيته كما هو، بوضعيته الخاصة حسب شريعته الخاصة وكما هو، ويسعى إلى التعامل معه على قاعدة البر والعدل. حيث جاء في قوله تعالى:﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة] . وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [النحل].

وإذا حاول المسلمون بفهم صحيح أن يغيروا بعض الشروط والأوضاع المحيطة بالغرب (الآخر) فإنهم يحاولون ذلك بأسلوب إنساني في أعلى درجات الالتزام الخلقي. قال تعالى:﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [العنكبوت ] .

وإذا لم يتغير الآخر( وهو في كلامنا الغرب) فإنه يقبله كما هو، إلا في حالات العداء المعلن، فإن الشرط الذي لا يمكن التنازل عنه للاعتراف والتعاون هو إزالة العدوان القائم ، والتوقف عن إرادة العدوان والتخطيط له : قال تعالى : ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [التوبة].

فالآخر (غير المسلم) تارة يكون في داخل المجتمع المسلم، وأخرى يكون منتميًا إلى مجتمع آخر خارج المجتمع المسلم. وهدف الإسلام من الاعتراف بالآخر في الحالتين: هو إيجاد مبررات إقامة علاقات مسالمة تكون قاعدة للتواصل.

---

(١) المرجع نفسه: ص٣٤.

بالنسبة إلى الآخر داخل المجتمع المسلم يكون الهدف :إيجاد مبررات التعاون على بناء مجتمع وطني واحد للجميع، وحياة واحدة يشتركون فيها جميعًا، ويتعاونون على تطوير عيشهم المشترك.

وبالنسبة إلى الآخر خارج المجتمع المسلم فإن الهدف من الاعتراف به: هو إيجاد مبررات التعاون معه فى جميع ما يمكن التعاون فيه على قاعدة التكافؤ على المستوى الدولى. لذلك فالأساس الإيمانى الأخلاقى للموقف الإسلامى من الغرب هو المبدأ التشريعى العام الذى وضعه الله سبحانه وتعالى فى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾

[ الإسراء]

والأساس الإيمانى الأخلاقى التشريعى للاعتراف بالغرب (الآخر) بهدف التعاون على صنع حياة واحدة مشتركة، والاشتراك فى التمتع بنعم الله الطبيعية، هو المبدأ التشريعى العام فى المجتمع الإنسانى على المستوى الوطنى الداخلى الخاص، وعلى المستوى الدولى العام. وهذا واضح فى قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات] .ويفهم من الآية الكريمة أن التقوى ليست تقوى المسلم فى ممارسة عبادته ومعاملاته، بل تقوى الإنسان المسلم وغير المسلم فى ممارسة علاقته مع الناس، وفق مبدأ العدالة والإنصاف القائم على الاعتراف للآخر بحقوقه، وآدائها إليه على أساس التزام الإنسان بمبدأ الأمانة العامة الذى بينه الله تعالى فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الأحزاب] .

وفى هذا النطاق يقر الإسلام للآخر (وهو فى كلامنا الغرب) فى الماضى والحاضر والمستقبل بأمور عديدة منها:

أولًا: يقر له بحرية عقيدته، واحترام خصوصية التكوين الداخلى له، ويدخل فى حرية العقيدة ما يتفرع عنها من عالم ثقافى والخصوصيات التى تميز قومًا عن قوم، وإنسانًا عن إنسان. فالإسلام أعطى الأولوية لحرية العقيدة – قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ ﴾ [ البقرة : ٢٥٦] ، فلا تكون العقيدة بالإكراه؛ لأنها عمل قلبى لا يطلع

عليه إلا الخالق، قال تعالى :﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس] . فلا حق لأحد أن يكره الآخر أن يدين بما يدين به، فالتعدد والاختلاف مصدر ثراء وخير للجميع ، ونحن المسلمين نعتقد - دينيًا – أن الاختلاف بين الناس واقع بمشيئة الله تعالى سواء كان هذا الاختلاف في اللغة أو اللون كما في قوله تعالى :﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم]. وقال تعالى في كتابه : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الشورى]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [الأنعام ]، بل بين القرآن الكريم أن الله إنما خلق الناس ليختلفوا ويتنوعوا، كما في قوله تعالى :﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [هود ].

ومع ذلك فالله تعالى فرض الدعوة إلى الله وأمر رسوله ﷺ أن يدعو إلى الله، ولكن بالطريقة الصحيحة السليمة، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥].

ثانيًا: أن يقر الإسلام بمبدأ المواطنة بين المسلم وغير المسلم داخل المجتمع على أساس المساواة فى الحقوق والواجبات، وفى إطار الحياة الوطنية العامة، وفى هذا الإطار يحترم الإسلام الآخر على أساس المواطنة والمساواة فى الحقوق والواجبات.

## علاقة الغرب بالإسلام:

هذا فى الماضى، أما فى الحاضر فإننا نلاحظ دعاوى تخالف الواقع . منها دعاوى العدالة الدولية، حقوق الإنسان. حيث وقع الغرب فى العصور الحديثة مبدأ سيادة القانون وتطبيق مبادئ العدالة الدولية، وأول ما ظهر هذا الموقف على المستوى العالمى، وعلى مستوى أنه قانون دولى كان فى "عصبة الأمم". وقد تصرف الغرب إزاء العالم الإسلامى من خلال عصبة الأمم بما لا ينسجم مع أى ذرة من العدالة وحقوق الإنسان، واستمر على هذا.

وحينما أنشئت منظمة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، وتأصل مبدأ حاكمية القانون الدولى ومرجعيته فى الشئون والعلاقات الدولية، أمل العالم بنظام دولى يحترم

القانون الدولى، ويكون أمينًا على ميثاق الأمم المتحدة، وأن أهم حقول التعاون بين الدول هو ذلك الخاص بالمحافظة على السلم والأمن الدوليين، إذ هو الهدف الشامل لكل نظام الأمم المتحدة.

واتفقت الدول بعد ذلك على ضرورة أن تولى التعاون الدولى فى نطاق حماية حقوق الإنسان أولوية خاصة؛ لذا نصت على أن الدول سوف تتعاون من أجل دعم الاحترام العالمى وتنفيذ الحقوق الإنسانية للجميع، وإزالة كل صور التفرقة العنصرية، وكل صور التعصب الدينى[1].

لكن سرعان ما خابت الآمال، واستعملت الأمم المتحدة لمصلحة القوى العظمى المهيمنة عليها، وتنامى الظلم وعدم التوازن على المستوى الدولى فى مجالات الاقتصاد والسياسة. وتصرف الغرب مع العالم الإسلامي بعد سنوات قليلة من إنشاء الأمم المتحدة بأشنع وأبشع ظلم شهده التاريخ وهو تأييده للصهيونية. لقد تصرف الغرب فى الأمم المتحدة – التى اعتبرت – بمقتضى ميثاقها – مرجع الشرعية الدولية، فى فلسطين بمنح الشرعية للاحتلال الصهيونى لفلسطين، وتسبب فى طرد شعبها منها لتوطين اليهود من قوميات أخرى، متذرعًا بشعارات إنسانية لخدمة اليهود الصهاينة بانتهاك الإنسانية والقيم بتدمير الشعب الفلسطينى وتشريده من وطنه. لقد عاد الغرب إلى العالم الإسلامي – والعرب بوجه خاص – ليستحوذ عليه بصيغة الاستعمار الجديد – والصهيونية أكبر أدواته[2].

وإنه حين وضعت مبادئ القانون الدولي فى الغرب فى القرن الثامن عشر الميلادي، فقد وضعت على أساس أن المسلمين ليست لهم حقوق، وأن الدولة العثمانية (دولة الإسلام الكبرى فى ذلك الحين) لا تستحق أن تعامل وفق القانون الدولى؛ لأنها خارجة عن الشرعية بحسب أصل تكوينها.

فهذا مظهر من مظاهر علاقة الغرب بالإسلام فى الماضي. ويبدو أنّ الأمر لا يزال كذلك إلى الآن، ولكن بصيغ وأشكال مختلفة.

وإن الدولة العثمانية وغيرها (مصر على سبيل المثال) قد عوملت من قبل القوى الغالبة فى ذلك الحين على هذا الأساس، حيث انتهكت سيادتها بالتدخل فى أقصى الشئون الداخلية لوجودها الحقيقي وهى: القوانين بإنشاء المحاكم الأجنبية وبمراقبة أنشطتها المالية وفرض الضرائب.

---

(١) جعفر عبد السلام" مرجع سابق، ص ٥٠ .
(٢) محمد مهدى شمس الدين: مرجع سابق، ص ٦١٣ – ٦١٤ .

ولقد كانت أهداف تمسيح البرابرة وإخراج الشرور القابعة فى جسم الرجل الأسود بين الأفكار التى دفع بها دفعًا لتبرير تفوق الرجل الأبيض وحقه فى الهيمنة والسيطرة على العالم. واليوم تعود بعض هذه الأفكار لابسة ثوبًا جديدًا، وقائمة على أسس أخرى. لقد نادى الرئيس بوش الأب بعد انهيار الاتحاد السوفييتى وانتصار التحالف الأميركى على العراق بأفكار جديدة لقيام العلاقات الدولية على مبادئ أخرى تحت تسمية النظام العالمى الجديد [1]، وهذا الشعار تبناه الرئيس كلينتون ولا دخول أبدًا فى الانعزالية. وأعلن فى نفس الوقت أن معاملة الدول الأخرى حسنًا أو كرهًا ستقوم على مدى تمسكها بأسس النظام العالمى الجديد الذى يقوم أولًا على الحرية السياسية والحرية الاقتصادية المتمثلة فى اقتصاديات السوق، والتمسك بالتعددية الحزبية، والديمقراطية بالمفهوم الغربى، واحترام حقوق الإنسان وحرياته. وهذا النظام العالمى الذى يشيع الحديث عنه فى الأدب السياسى هو (نظام) كما تبين غربى المنشأ والمقاصد .. (وعالمى) الامتدادات والتأثيرات[2].

وإن هذا النظام العالمى الجديد له أسسه ومناهجه ومؤسساته، وهذه المؤسسات هى النظام النيابى، والأحزاب، والجمعيات والمؤسسات الخاصة بالمجتمع المدنى والشركات المتعددة الجنسيات. وهناك أنظمة لم يعلن عنها بنفس الوضوح، عند ضرورة تبنى أنظمة علمانية تفصل بين الدين والدولة، وترجع الإرهاب الى وضع الدين فى طريق الإنسان وحياته، وأن الكتابات التى تعبر عن نمط تفكير الغرب تجاه الإسلام والمسلمين، وعلاقة الغرب بالإسلام، ومستقبل هذه العلاقة، من قبيل كتاب (فوكوياما) عن نهاية التاريخ، وكتاب (صاموئيل هنتنجتون) عن صراع الحضارات[3]. إن هذه الكتابات تكشف عن أن الغرب لا يزال ينظر إلى الإسلام باعتباره عدوًا يجب العمل للتغلب عليه وسحقه والحيلولة له دون تمكنه من بناء كيانه الخاص المعبر عن روحه، وتعطيل دوره فى صنع التاريخ والمشاركة فى صياغة الحضارة العالمية.

وبصرف النظر عن عدم تنفيذ هذه المبادئ الآن، بدليل ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية ضد دول إسلامية أخرى في مقدمتها إيران والسودان والصومال وليبيا، وسياسة الكيل بمكيالين المعروفة؛ إذ هى تترك لإسرائيل الحبل على الغارب لتفعل ما تشاء

---

(١) ظهر هذا المسمى فى عهد الرئيس الأميركى الأسبق ريجان ورئيسة الوزراء البريطانية مارجريت تاتشر.

(٢) محمد عمارة: العالم الإسلامى والمتغيرات الراهنة، ص٧٠٦، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٦١)، السنة السادسة عشرة، أغسطس، أكتوبر، ١٩٩١.

(٣) محمد عمارة: بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، ص٥٣-٥٤، سلسلة قضايا إسلامية تصدرها وزارة الأوقاف المصرية "المجلس الأعلى للشئون الإسلامية" وعددها (١٢٥)، عنوانها "مشكلات العالم الإسلامى فى ظل العولمة"، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

بالمسلمين الفلسطينيين، إلا أننا كدول إسلامية يجب أن نسير دفة العالم بشكل آخر يتفق مع مبادئنا وإسلامنا، ويتفق مع أفكار النظام العالمى الجديد وهذا طرح نراه مناسبًا"[١]. ومن ثم يجب اكتشاف وسائل التواصل معه على قاعدة التفاهم لأجل التعاون على (البر والتقوى) فى مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة وحقوق الإنسان.

كما أن الغرب يحمي – أو يغض النظر – عن انتهاكات فاضحة لحقوق الإنسان هنا وهناك فى العالم، ويحارب الإسلام بهذا الشعار بين وقت وآخر ،وفي عام ١٩٧٥م عقد المؤتمر الأول في المكسيك والذي نودي فيه إلى حرية الإجهاض للمرأة ، والحرية الجنسية للمراهقين والأطفال ، وتنظيم الأسرة لضبط سكان العالم الثالث [٢] ، ففى عام ١٩٩٤ عقد مؤتمر السكان بالقاهرة، وفى عام ١٩٩٥ عقد المؤتمر العالمى الرابع للمرأة المنعقد في بكين وقد ناقش الأخير قضايا المرأة من زوايا عديدة، وأن وثيقة مؤتمر بكين تعد إلى حد كبير الوعاء الذى صبت فيه الثقافة والفلسفة الغربية أفكارها ومبادئها. فتكلمت الوثيقة عن حقوق الإنسان، معتبرة الحرية الجنسية والصحة الإنجابية وممارسة الشذوذ الجنسى من صميم هذه الحقوق. ودعت الوثيقة أيضًا إلى إزالة جميع الفوارق بين الرجال والنساء بما فيها الفوارق الطبيعية والفسيولوجية والنفسية، وبهذا تصل جحافل الشذوذ إلى أغراضها المقنعة فى سحق الأديان، وطمس القيم الإنسانية والأسرية وقلب نظام العالم وإشاعة الفوضى والفساد ،وإيجاد حكومات متهافته وأنظمة شاذة ومتسلطة تسيطر على مقدرات الشعوب[٣].

وتنادى الوثيقة بتحطيم كل القيود الدينية والوضعية التى تحد من الحرية الجنسية بكل أشكالها وأنواعها ،وهو ما سبق أن طالبوا به فى مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية عام ١٩٩٤، وفشلوا فى تحقيقه فشلا ذريعًا وذلك بسبب موقف الحكومة المصرية والأزهر المشرفين.

واستكمالا لمساعيهم المريبة فى الحصول على تأييد العالم لشذوذهم لجؤوا إلى تبنى عبارة (النوع) Gender بدلًا من عبارة (الجنس) Sex ،ولفظة النوع هى التى تستأثر بمعظم فقرات النص بالوثيقة، وقد ورد ذكرها بأكثر من ستين صيغة كلها تحمل معانى مشبوهة ومقاصد مخزية ومخربة[٤] .

---

(١) جعفر عبد السلام: مرجع سابق، ص٤٧.
(٢) عمر سليمان الأشقر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، مرجع سابق ، ص١٧٥ .
(٣) محمد أبو ليلة: مكانة المرأة فى الإسلام دراسة مقارنة ص٤ ، المؤتمر الدولى بعنوان: الدراسات الإسلامية عند غير العرب، رابطة الجامعات الإسلامية بالاشتراك مع كلية الدراسات الإنسانية ،جامعة الأزهر، ١٩٩٧.
(٤) المرجع نفسه: ص٥ .

فالوثيقة أهملت الكلام عن الله والدين والكتب السماوية، وبالتالى فإنها لم تنوه بدور الدين فى قيادة الأمم والحفاظ على القيم والحث على التعاون والإخاء بين البشر، بل على العكس فإنها تنادى بالحد من وطأة الدين وأشكال التصرف الدينى (بند٣١)، وتعتبر الدين ضمن العوائق التى تعوق تقدم المرأة وتعرقل مسيرتها، فحرضت الوثيقة المرأة على التمرد على الدين (بند ٤٨) ، وفتحت بابًا من الشر واسعًا باسم الحرية وحقوق الإنسان (المرأة) [1].

ويمكن تحديد مقاصد هذه المؤتمرات بما يلي :

- إلغاء مفهوم الأسرة .
- تقرير الإباحية الجنسية .
- الدعوة إلى سن قوانين للتعامل مع الحمل السفاح .
- المطالبة برفع سن الزواج .
- الدعوة الموسعة لتمكين المرأة من العمل خارج بيتها .

نعم، إن الإسلام لا يمانع فى عمل المرأة ولكن فيما تجيده ولا يستغنى المجتمع عنها، ولا يمنع الإسلام خروج المرأة للعمل ولكن بشروط، فيشترط عليها الحشمة ،والعفاف، والظهور بمظهر المسلمة، ففى ظل الإسلام تعلمت المرأة وتبوأت أرقى الدرجات فى العلم والورع وكان من المسلمات: صاحبة أعمال، راعية للدعوة، فقيهة، مفتية، مستشارة، راوية للحديث، مجاهدة، شاعرة، مجادلة، أديبة، صاحبات مجالس علم، طبيبة، ممرضة. ويكفى فى التنويه بفضل المرأة أن النبى ﷺ أشار الى زوجته السيدة عائشة (رضى الله عنها) وقال: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء» فالرسول ﷺ جعل نصف العلم عند السيدة عائشة والنصف الآخر موزعًا على صحابته وأمته.

بموقف الغرب من الإسلام فى الماضى الذى لا يزال حيا فى الحاضر، وإن كان بصيغ مختلفة، والخطط التى توضع للمستقبل والتى لا يبدو أنها تختلف عما هو قائم الآن ،تثير الريبة فى إمكان إقامة حوار متكافئ بين الإسلام والغرب ، دولًا ومؤسسات سياسية واقتصادية، حوار يمكن أن يصحح العلاقة بين الغرب والإسلام فيحولها من علاقة التبعية والاستحواذ والاستغلال والاحتقار إلى علاقة تقوم على اعتراف حقيقي بالمسلم كما

---

(١) المرجع السابق: ص١٣ .

هو بخصوصيته وبمصالحه وحقوقه.

## صورة الإسلام فى التراث الغربى:

إذًا كان حال "الثقافة العلمانية" الغربية إزاء الآخر الإسلامي لم تكن أكثر إنصافًا، ولا أقل فى درجات الإنكار والتشويه ومحاولات الاستئصال .. لقد اتخذت هذه الثقافة الغربية – فى جملتها – ذات الموقف الاستئصالى، عبر تاريخها الوسيط والحديث والمعاصر، فمسار الغرب الحضارى فى ثقافة النفى والإنكار والاستئصال، فنزعة المركزية الحضارية الغربية التى صورت للغرب أنه بداية الحضارة – التى بدأت بالإغريق والرومان – وأنه نهايتها .. ونهاية التاريخ، هذه النزعة المركزية قد جعلت الثقافة الغربية تنكر تنوع العالم إلى حضارات متعددة ومتمايزة ومستقلة فى ثقافتها، فزعمت هذه المركزية أن الحضارة الغربية الحديثة هي الحضارة العالمية .وإن العلم والتحضر قد بدأ بالإغريق، وانتهى بالنهضة الغربية الحديثة – وخاصة المسلمين . وان إسهامات الآخرين – لا تعدو أن تكون "إسهامات" ساعى البريد الذى نقل تراث الإغريق إلى أوربا فى عصر النهضة والتنوير[1].

وبسبب هذه النزعة الغربية كان الاستعمار الغربى – الاستعمار العسكرى فى مصر والسودان وليبيا والمغرب وتونس، والصومال، والعراق، وجيبوتى، وسورية،ولبنان، واريتريا، والاستعمار الاستيطانى فى الجزائر، والاستعمار الاستيطانى الإحلالى فى فلسطين – هذا الاستعمار قام بنهب هذه المنطقة إما مباشرة إبان فترة الاستعمار العسكرى المباشر أو من خلال التحكم فى أسعار المواد الخام، وعن طريق بيع الأسلحة بملايين الدولارات لنظم يضمن هو بقائها فى الحكم، ويعلم جيدًا أنها غير قادرة على استخدام هذا السلاح، كما أثبتت الخبرة التاريخية التى يريدنا أن ننساها[2]. هذا الاستعمار يتقمص دور صاحب الرسالة الحضارية والإنجاز التقدمى، فهو الأقوى، والأقوى هو الأصلح والأجدر بالبقاء، وفق قاعدة وفلسفة القانون الصراعى الذى طبقه داروين (١٨٠٩ – ١٨٢٢م) فى علم الأحياء، ونصه: البقاء للأقوى، ففى الثقافة الشعبية تتعلم الجماهير من "ملحمة رولاند" أن المسلمين يعبدون الثالوث: [3].

١) أبوللين Apollin

٢) وتيرفاجانت Tervagant

---

(١) محمد عمارة :الإسلام والآخر، من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ ص١٣٥ ، مكتبة الشروق،القاهرة، ٢٠٠١.

(٢) محمد وجيه الصاوى: الموقف الإسلامى من العولمة حوار تفاهم وتبادل حضارى، دار الفكر العربى ص٥٧، القاهر، ٢٠٠٦.

(٣) محمد عمارة: الاسلام والآخر، من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟ ص١٣٧ مرجع سابق.

٣) ومحمد Mahamed

وأن المسلمين يعظمون يوم الجمعة؛ لأنه يوم إلهة الحب (فينوس) Venus بينما المسيحيون يعظمون يوم الأحد لأنه يوم الرب. ولقد لعبت هذه الصورة التى شاعت فى الثقافة الشعبية الأوربية- دورها فى تجييش أحقاد العامة والدهماء فى الحفلات الصليبية ضد الإسلام وأمته وعالمه وحضارته فتحدثت هذه الملحمة – " ملحمة رولاند" عن المسلمين فقالت لهؤلاء الدهماء:

"انظروا إلى هذا الشعب الملعون! إنه شعب ملحد، لا علاقة له بالله، وسوف يمحى اسمه من فوق الأرض الزاخرة بالحياة؛ لأنه يعبد الأصنام. لا يمكن أن يكون له خلاص، لقد حُكم عليه. فلنبدأ إذن تنفيذ الحكم باسم الله!..." ثم تبدأ ملاحم القتال الصليبى، بعد تلاوة هذا الذى جاء فى "ملحمة رولاند".

والشاعر الإيطالى دانتى (١٢٦٥ – ١٣٢١م) والذى مثل مرجعية كبرى فى الثقافة الغربية –يضع رسول الإسلام ﷺ، وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه، فى الحفرة التاسعة فى ثامن حلقة من حلقات جهنم، لأنهم – بنظره التنويرى– من أهل الشجار والنفاق، الذين تقطعت أجسادهم فى سعير "الكوميديا الإلهية"[1].

أما جوته- الألمانى – [١٧٤٩ – ١٨٣٢م] فإن رسول الإسلام عنده – "قد نصب حول العرب غلافا دينيًّا كثيبًا، وعرف كيف يحجب عنهم الأمل فى أى تقدم حقيقى!..."[2].

ولهذا التشويه الذى حفلت به الثقافة الغربية العلمانية – تشويه الآخر الإسلامى – والدعوة الى إنكاره واستئصاله، رأينا امتدادات هذا الموقف تسود فى الرؤية الغربية المعاصرة للإسلام واقعه وعالمه وحضارته ... وتصبح لها تأثيراتها على صانع القرار فى المشروع الغربى، المتحالف مع المشروع الصهيونى ضد نهضة الشرق الإسلامى، ومعه تقرير المصير للشعوب المسلمة، وإسلامية النموذج الحضارى فى عالم الإسلام.

ويتعرض العالم الإسلامي إلى غزو فكرى، هدفه السيطرة على ثقافة المجتمع، ومن ثم هدم قيمه الدينية، ولقد استخدم الغرب لتحقيق ذلك الوسائل التالية: [3].

---

(١،٢) محمد عمارة: الإسلام والآخر، من يعترف بمن ؟ ...، مرجع سابق، ص١٣٧.

(٣) محمود عطا حسين عقل: القيم السلوكية لدى طلبة المرحلتين المتوسطة والثانوية فى دول الخليج، مكتب التربية العربى لدول الخليج،ص ٨٥ – ٨٦ الرياض، ٢٠٠١.

أ- الاستشراق ومدارس التبشير والبعثات إلى الجامعات الغربية، فقد غزت الثقافة الغربية عقول المبعوثين من أبناء المسلمين الذين أصبح - بعضهم - فيما بعد رموز التحديث والتغريب.

ب- الهيمنة على وسائل الإعلام، فقد سُخرت - بقصد أو بدون قصد - لاجتثاث قيم أصيلة هادفة- لتغرس مكانها قيم الحضارة المادية بكل تبعاتها، فقد عمقت فى الأمة الإسلامية والعربية مشاعر الدونية والتبعية للغرب.

فالرئيس الأمريكى الأسبق "ريتشارد نيكسون"- وهو من رجالات الإستراتيجية - يقول عن صورة الإسلام والمسلمين فى العقل الأمريكيين المعاصر -: "إن الكثيرين من الأمريكين قد أصبحوا ينظرون الى كل المسلمين كأعداء.. ويتصور كثير من الأمريكيين أن المسلمين هم شعوب غير متحضرة، ودمويون، وغير منطقيين، وأن سبب اهتمامنا بهم هو أن بعض زعمائهم يسيطرون - بالصدفة - على بعض الأماكن التى تحوى ثلثى النفط الموجود فى العالم.. وليس هناك صورة أسوأ من هذه الصورة - حتى بالنسبة إلى الصين الشيوعية- فى ذهن وضمير المواطن الأمريكى عن العالم الإسلامى"(١).

ويقول "نيكسون" :إن الإسلام والغرب متضادان، وإن نظرة الإسلام للعالم تقسمه إلى قسمين: "دار الإسلام" و "دار الحرب" حيث يجب أن تتغلب الأولى على الثانية، وأن المسلمين يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب، وعلى الغرب أن يتحد مع الاتحاد السوفييتى ليواجه هذا الخطر الداهم بسياسة واحدة"(٢).

وإذا كان نيكسون قد شهد بأن الإسلام والمسلمين هم أسوأ الصور فى ثقافة أغلبية الأمريكين، الأمر الذى جعلهم يدعون إلى تحالف الأعداء - الليبرالية الرأسمالية والشمولية الشيوعية - أى كل الغرب - ضد الآخر الإسلامى، فإن سقوط الشيوعية ومعسكرها قد زاد من حدة العداء الغربى لهذا الآخر الإسلامى.

وفى هذا المجال سألت مجلة "النيوزويك" الأمريكية، رئيس المجلس الوزارى الأوربى " جيانى ديميكليس " ما مبررات بقاء حلف الناتو (الأطلنطى) بعد زوال المواجهة بين المعسكر الغربى والمعسكر الاشتراكى؟ فكانت الإجابة، صحيح أن المواجهة مع الشيوعيين لم تعد قائمة: إلا أن ثمة مواجهة أخرى يمكن أن تحل محلها بين العالم الغربى والعالم الإسلامى. وسأل المراسل مرة أخرى: وكيف يمكن تجنب تلك المواجهة المحتملة؟

(١) ريتشارد نيكسون: الفرصة السانحة ص١٣٥.، ترجمة: أحمد صدقى مراد، مطبعة دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٢.
(٢) المرجع نفسه ،ص١٣٩.

فكانت الإجابة: فى أن يعلن أن الشرط هو تعميم النموذج الحضارى الغربى، وقبول المسلمين له، وقال: ديميكليس: ينبغى أن تحل أوربا مشاكلها ليصبح النموذج الغربى أكثر جاذبية وقبولا من جانب الآخرين فى مختلف أنحاء العالم، وإذا فشلنا فى تعميم ذلك النموذج الغربى فإن العالم سيصبح مكانا فى منتهى الخطورة(١).

أما مجلة شؤون دولية: International Affairs التى يصدرها المعهد الملكى للشؤون الدولية بجامعة كامبردج البريطانية، فإنها تقدم التفسير الثقافى والحضارى لإعلان كثير من مؤسسات المشروع الغربى ، فترى أن الإسلام هو العدو الذى حل محل "إمبراطورية الشر الشيوعية" فجوهر أسباب هذا الإعلان لهذا العداء هو رفض الإسلام وعالمه التخلى عن النموذج الثقافى والحضارى المتميز، واستعصاء الإسلام على الذوبان فى النموذج العلمانى الغربى، فلهذا السبب أصبح الإسلام - من بين الثقافات الموجودة فى الجنوب - هو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة(٢).

ويحاول الغرب هيمنة الثقافة الغربية على الثقافة العربية والإسلامية، باستخدام مؤسساتهم الإعلامية فى السخرية من الدين وتحويل الفضيلة إلى رذيلة، والمعرفة إلى جهل؛ وذلك لتشويه صورة الإسلام.

**وسوف نوضح أساليب استخدمها الغرب فى ذلك ،وهى كالآتى:**

- القنوات الفضائية التى تطلق العنان للمناظر التى تخدش الأخلاق، فالغرائز موجودة فى الإنسان، وليست بحاجة إلى من ينفخ فى جذوتها، بل بحاجة لمن يرد منها، ويحفظها فى حدود الفطرة التى فطر الله الناس عليها(٣).

- حققت وكالة رويترز للأنباء خبطة صحفية لا تقدر بثمن، عندما حصل مندوبها فى النبطية بلبنان على صورة توضح "لبنانى شيعى" يشج رأس ابنه بالسيف فى الاحتفالات التى جرت بذكرى عاشوراء، وتلقفت وسائل الإعلام الإقليمية والدولية هذه الصورة وأفردت لها صفحات فى الجرائد والمجلات وشاشات الفضائيات لتثبت دموية المسلمين وهمجية طقوسهم، ولذلك أنتجت إحدى شركات الأفلام الغربية فيلمًا تسجيليًا بعنوان

---

(١) جريدة الأهرام: عدد (١٧)، يوليو ١٩٩٠، من مقال: فهمى هويدى "من يعادى من؟".
(٢) محمد عمارة: الإسلام والآخر...، مرجع سابق ص١٤٠.
(٣) سلوى عبد الرحمن: دور القيم الأخلاقية فى مواجهة الآثار السلبية للعولمة، ص٧٧٥. مجلة كلية البنات الإسلامية بأسيوط، جامعة الأزهر، ٢٠٠٥.

"سيف الإسلام" ادعت فيها حب المسلمين للعنف وولعهم لسفك الدماء[١].

• منذ إعلان إيران جمهورية إسلامية أخذت على حث الناس على إحياء هـذه الأمـور، وتمويل الشيعة فى كل مكان؛ لكى يقيموا احتفالات كبيرة جدًّا لإحياء هذه الأمور (ضرب القامات)، وفى نهاية كل عام تتكرر هذه الصور المخجلة من إسالة دماء وضرب للرؤوس والصدور، وتبث على جميع وسائل الإعلام، ويكتب تحتها أعياد المسلمين، فأى تشويه يبحث عنه الغرب لتشويه صورة الإسلام[٢]. ومن ثم فالإسلام يتعرض لأبشع الحملات الإعلامية لتشويه صورته التى توضح همجية الإسلام والمسلمين وميلهم للعنف والدموية لتخويف الأجيال الجديدة من الإسلام، وإرهابهم لغرس بذور الكراهية للإسلام، ويترسخ فى عقلية هذه الأجيال أن الدين الإسلامى دين عدوان متعصب، وتدميرى. وقد لعبت المنظمات الغربية دورًا كبيرًا فى صياغة وثيقة حول الطفولة خلال القمة العالمية للطفولة عام ١٩٩٠ تحت عنوان (C.R.C) تضمنت بنودًا تتصادم مع الإسلام، ومن شأنها تهديد مؤسسة الأسرة، ومن هذه البنود:

• ما يطلق عليه: حقوق الطفل فى الحصول على أسرة بديلة، إذا تعرض للتأديب والضرب من أحد والديه.

• ضرورة منع الزواج المبكر الذى يعده الإسلام أمرًا مرغوبًا فيه، لتحصين الشباب والفتيات ضد الانحراف.

• إلزام الدول بتسجيل المواليد، سواء جاؤوا بطريق الزواج الشرعى أو خارج هذا النطاق، بما يعنى التشجيع على الممارسات الجنسية غير المشروعة.

• محاولة المنظمات الغربية إدخال الشباب والمراهقين ضمن بنود وثيقة (C.R.C) وإعطاؤهم ما يسمونه بالحقوق الجنسية، خارج نطاق الزواج الشرعى[٣].

ويحاول الغرب أن ينشر سمومه فى الدول الإسلامية، كما ظهر فى الوثيقة السابقة التى تحاول هدم كيان الأسرة المسلمة، وإذا كان الغرب قد حقق مستويات متقدمة فى العلم على الرغم من التدهور الأخلاقي الحادث، فالدول الإسلامية أكثر تقدمًا ورقيًا روحيًا

---

(١) منذر خدام: طقوس عاشوراء عند الرافضة، فى حوار متمدن ص ٢٣٠، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٠م.

.onlin available at: htt.//www.rezga.com/m.asp ?!

(٢) المرجع نفسه: ص٣، ٤ .

(٣) على عليوة: وثيقة تربية الطفل تهدد الأسرة المسلمة ص٢١١، الدوحة ، قطر، ٢٠٠٠، online- avialable at: .www.is/amon/nc.net

واخلاقيًا.

ونقدم حوارًا بين كاتبين، أحدهما من الشرق، والآخر من الغرب، كل منهما يقدم رأيه فى حضارة الآخر.

قال الكاتب "صنع الله إبراهيم": "إن الغرب قد يمثل قمة الحضارة بما وصل إليه من الإنجاز العلمى، ولكن هذا الإنجاز العلمى نفسه قائم على نهب ثروات العالم، خصوصًا فى إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وأن أوربا سركز الحضارات تقوم على العنصرية التى تقهر البشر مثل ما يفعل مع الزنوج فى فرنسا وإيطاليا وألمانيا، وتنظر إلى الفلسطينيين على أنهم قتلة مع أنهم هم المقتولون، أوربا ظالمة، ومثقفوها صاروا عميانًا عن الحق.

وكان رد الكاتب الإيطالى دانيال ديل دوتش: إن الشرق بالنسبة لى اليوم، هو الشرق الذى يعيش لنرتكب نحن جرائمنا، أما عن الموقف فى القدس فلا أعتقد أن الحل سيأتى من إيطاليا، ومن المهم أن أوضح أننى لم أوقع على بيانات تدين إسرائيل؛ لأن التوقيع على البيانات وكتابة المقالات شىء سهل ولا يعنى شيئًا"[(١)].

ويتضح من هذا الحوار: أن الشرق بالنسبة للغرب هو مكان لممارسة الجرائم، وأن ما يفعله الفلسطينيون من مقاومة هو إرهاب، وفى هذا تحقير وتقليل من شأن الدول العربية والإسلامية، على الرغم من أن الحضارة الإسلامية حضارة عريقة ظهرت قبل ظهور الحضارة الغربية.

ويتضح أن وسائل الإعلام الغربية وبطانتها إسرائيل وراء تشويه صورة الإسلام ورسم صورة سلبية عن الإسلام والمسلمين لصالح إسرائيل ومستقبلها فى المنطقة.

## لماذا الخوف من الإسلام؟

إن إحساس المنطوين فى الساحة الإسلامية الشاسعة أن هناك مؤامرة تاريخية عليهم، بدءًا بقريش الجاهلية ويهود المدينة، ومرورًا بالصليبيين والمغول وغيرهم، وانتهاء بالنظام العالمى الجديد، وتداخل هذا الإحساس مع الجمود وعطالة الاجتهاد والخمول العلمى ـ حدد شكلين من أشكال العلاقة مع الآخر: الأول: مقاطعة شاملة للآخر، والثانى: أن مواجهته بعنف لا تؤدى إلا إلى المزيد من الضائقة وتأليب العداء ضدهم عالميًّا.

ولعل الواقع الراهن أكثر ما يدعم هذا الإحساس بالمؤامرة التاريخية، فالإسلام فى

---

(١) سلوى عبد الرحمن: مرجع سابق، ص٧٧٨.

وسط آسيا يواجه الهندوس والسيخ، ويواجه فى أوروبا الشرقية الأرثوذكسية الروسية والصربية، إضافة إلى صراعه مع اليهود فى قلب العالم الإسلامى ومواجهته للنظام العالمى الجديد.

والمقال الذى نشرته صحيفة (الأيكونوميست) الأمريكية للكاتب (بيدهام) يمثل جانبًا من رأى الآخر.. وأن بيدهام يوضح أمرًا بالغ الأهمية للغرب والإسلام وهو داخل فى إطار إن الشىء يكتمل بنقيضه .. لذلك ليس ثمة من داع لأن يسود عليه أو يرضخ له. وقيمة فكرة بيدهام تكمن فى أن التحالف والتآلف الغربى والإسلامى سيكون لخير الإنسانية جمعاء، ومقال (بيدهام) يقوم أساسًا على بحث مطول للمفكر صمويل هينتنجتون، حيث يستعرض فيه عددًا من الحضارات المؤهلة لتكون طرفًا فى معادلات الصراع على قيادة الكرة الأرضية بشعوبها المتباينة، ويرى أن الحضارات الحالية التى قد تتصارع هى [١]:

(١) الحضارة الأنجلوسكسونية: تشمل دول أوربا وأمريكا الشمالية.

(٢) الحضارة البوذية والكونفوشيسية والهندوسية: تشمل جنوب شرق آسيا.

(٣) الحضارة السلوفاكية والأرثوذكسية: تشمل معظم دول أوربا الشرقية والبلقان وروسيا.

(٤) الحضارة الإسلامية: تشمل الدول العربية وإيران وباكستان وماليزيا وأندونسيا وبعض دول إفريقيا.

(٥) الحضارة الكاثوليكية: تشمل جنوب أوربا ومعظم دول أمريكا اللاتينية.

(٦) الحضارة الزنجية: معظم دول إفريقيا.

إلا أن (بيدهام) اختزل هذه الحضارات المؤهلة إلى ثلاث حضارات:

الغرب فى مواجهة العالم الإسلامي ويستبعد عالم الكونفوشيسية، ثم يبين أسباب استبعاده للكونفوشيسية أيضًا؛ ليؤكد أن الصراع القادم بين الإسلام والغرب فقط، وأن بيدهام ينحو منحى إنسانيا وينطلق بوعي في بحثه، وذلك من خلال تحميله الغرب مسؤولية تحقيق حسن الجوار مع الإسلام؛ لأنه الأكثر تقدمًا وتحضرًا، أو بمعنى آخر :لأنه يملك زمام إبداء حسن النوايا[٢].

---

(١) S.Huntington,: "Clash of civilizations, London: Touchstone Books, ١٩٩٦, p: ٢٧.

(٢) جودت سعيد: الإسلام والغرب والديمقراطية، ص٤٤-٤٥، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

أصول الخوف:

هناك سؤال يطرح نفسه وهو: ما الذى يجعل فئة من الناس مستعدة للفتك بفئة أخرى؟ الإجابة هى: صراع المصالح أو صراع الأفكار، أو عقدة التفوق العرقى وحب السيادة.

فالحرب العالمية الأولى قامت لتقرر من سيسود أوربا، ألمانيا القيصرية أم بريطانيا روبرت بروك؟ أى قامت لأجل المصلحة القومية. والحرب العالمية الثانية التى كانت من نوع آخر يقوم على أساس التفوق العرقى الذى كان يؤمن به هتلر ويسعى إليه. أما الحروب الصليبية فقد جرت أحداثها الدموية من أجل فكرة سيطرت على ذهنية أوربا المسيحية وهى: من الذى كان يمثل صوت الله الحقيقى، المسيح أم محمد ﷺ ؟ [(١)].

ورغم أن الحرب الباردة كانت رعبًا فى بدايتها ، إلا أنها لم تنته بفائدة معينة ، ولم تعلم الناس غثاثة التمسك الحماسى بفكرة لمجرد الإحساس بالتسامى والتعالى والتفوق، وضرورة دفع الآخرين نحو تحقيق المصالح الخاصة حتى لو كانت مخالفة لمصالحهم، بحجة غرس الديمقراطية، وبحجة الولاء للعرق، ولو رغب الغرب فى كف الصرب عن الاعتداء على المسلمين لما عجزوا عن ذلك، فالصرب يجدون المسلمين غير جديرين بالمواطنة السلافية ؛لأن دينهم لا يؤهلهم لذلك، وهذه الفكرة تسيطر أيضًا على الهندوس الذين يعتبرون المسلمين الهنديين خونة لأنهم اعتنقوا دينًا غير دين الهند[(٢)].

ويرى (بيدهام) أن حرب الإسلام مع الغرب تحمل محرضات كامنة: فكرية وعرقية، إضافة إلى صراع المصالح. وهى بتحديد هذه المحرضات تضع كل جوانب الصراع تحت هذه التصنيفات الثلاثة.

ويتخوف (بيدهام) من الأصولية النامية التى تسعى إلى استلام الحكم، وتنعت الأصوليين بأنهم أشخاص قساة لا يعرفون الصفح، ولهذا فإن الحرب بين الغرب والإسلام حينها لن تكون باردة، إنما ستكون هناك مواجهات حامية من حين لآخر، وهذه المواجهات ترجع إلى أمرين هما:

**الأول**: التعصب الإسلامى.

**الثانى**: الحسابات الخاطئة للغرب.

---

(١) المرجع نفسه: ص٤٦-٤٧.

(٢) المرجع نفسه: ص٤٨ .

ثم تدعو الصحيفة الأمريكية إلى تغيير هذه الحال إلى لحمة وتعاون وذلك بتكيف المسلمين مع وقائع الحياة العصرية، ورغبة الغرب الصادقة تجاههم، وإذ يتحقق التعاون المنشود فإن هناك الكثير من الأهداف المشتركة التى تصبح أقرب إلى التحقيق بتعاضدهما، وخاصة أن روسيا ستكون جارًا خطيرًا على كليهما، وكذلك أن هذا التعاون سيشكل مدخلًا لطريق صعب تحل عبرها مشكلات القارة الإفريقية، تلك القارة التعيسة، إضافة إلى مواجهة مارد الشرق (الكونفوشيسية) التى تشكل وجهًا آخر من الأوجه الكامنة. وأن هذا القلق سيستمر ما لم تكن هناك خطوة جادة للتعاون بين الغرب والإسلام(١).

ويرى بيدهام أن القرن الحادى والعشرين سيكون حلبة صراع بين حضارات ثلاثة بعينها، وهى :

**أولًا**: حضارة الغرب، أى الثقافة الأوربية الأمريكية، التى نتجت عن النهضة العلمية والانفتاح الحضارى، وأفرزت الرأسمالية والديمقراطية المعاصرتين.

**وثانيًا**: الحضارة الصفراء أو الثقافة الكونفوشيسية التى تعتبر تجسيدًا للأفكار الناشئة فى إطار اللغة الصينية. أما الحضارة الثالثة التى يشير إليها بيدهام فهى الثقافة الإسلامية، باعتبارها المنافس الفكرى الوحيد للغرب، ويكمن هذا فى أن الإسلام مبنى على يقين جازم بأنه فوق الأسس التى يضعها البشر.

ويركز (بيدهام) على جوانب مشتركة فى ثقافتى الغرب والإسلام وعلى قدر كبير من الأهمية بحيث تشكل أرضية لحوار بناء، مثل فكرة المسؤولية الفردية، إضافة إلى طبيعة الخير والشر، وحقوق الملكية، والحفاظ على البيئة.

**مخاوف الغرب:**

تظهر مخاوف الغرب الآن أكثر من أى وقت مضى .. وهذه المخاوف كثيرة وفى مجالات كثيرة والتى منها:

١ - عدد المسلمين المتزايد فى القارة الأوربية ونمط حياة غالبية هؤلاء المسلمين وتعاملهم مع دينهم، وعلاقتهم بأوطانهم الأصلية، وتدفق هجرة تضم مسلمين إلى أوربا، قليل منها شرعى وكثير منها غير شرعى، تقف وراءه عصابات تهريب أوربية لها نفوذها.

---

(١) المرجع السابق: ص٤٩ - ٥٠.

٢- الصحوة الإسلامية؛ وبروز روح المقاومة التى يتصدى بها المسلمون للظلم فى فلسطين والبوسنة والشيشان والعراق ومواقع أخرى.

٣- وهناك أيضًا فى أوساط الخاصة والعامة فى الغرب موضوع صورة الإسلام الحقيقية بين واقع حياة المسلمين وإعلام الأزمات المتدفق فى عصر ثورة الاتصال بالصورة المشوهة التى يرسمها للإسلام، وتطلع للتعرف على الحضارة الإسلامية.

٤- خوف الغرب على مصالحه فى الشرق والجنوب.

٥- خوف الغرب من تدفق المزيد من اللاجئين الذين أصبحوا يشكلون نسبة ملحوظة بالنسبة إلى عدد السكان، ومشكلة اللاجئين أنهم يشكلون بنية جديدة مغايرة للبنية الغربية، معتقدًا وثقافة ولونًا (عرقًا)، إذ إن هذه البنية لم تندمج تمامًا فى ثقافة الغرب بل بقيت متمايزة عنها، بل تبلورت فى أحضانها أيضًا ولكن ليس كما يرغب الغرب.

٦-لكن الخوف الأكبر الذى بدت ملامحه منذ حين هو مشكلة التنظيمات أو الحركات التى ترفض القيود الغربية، بل وتواجهها بعنف متبادل وهى فى داخل البناء الإجتماعى الغربى، وهذا الخوف بدوره يفضى [**بتواشجه مع نظرة تاريخية فى علاقة الإسلام بالغرب**] إلى خوف أكبر وأكثر تعقيدًا وهو الخوف التاريخى من الفتوحات الإسلامية.

ويبدو هذا الخوف أكثر تأسيسًا وخاصة بعد قيام الثورة الإسلامية فى إيران، إذ إنها تؤخذ على محمل التعميم... وخاصة أن إيران تحولت من دولة حليفة إلى دولة معادية بالمفهوم الغربى.

**النهضة الإسلامية وآفاقها:**

- فحركة الإصلاح فى الغرب ساعد على ولادتها أمران:

أحدهما: التلاقح مع الحضارة العربية التى نقلت للغرب تراثهم القديم (الإغريقى)، إضافة إلى ما إضافته إلى العلوم والفنون.

والثانى: اكتشاف أميركا عام ١٤٩٢ واستيراد ذهبها وفضتها، الأمر الذى فتح الباب أمام اقتصاد أغنى بكثير. أما حركة الإصلاح الإسلامى (البلاد الإسلامية) فقد تدفق عليه النفط وهو يوازى الذهب والفضة إضافة إلى تلاقحها مع الحضارة الغربية - إلا أن (بيدهام) يقول: أن الإصلاح الأوربى والإصلاح الإسلامى يتميزان بناحيتين هما [١]:

(١) جودت سعيد: مرجع سابق: ص٨٨-٨٩.

١- الثقافة العالية والحديثة التى يتمتعون بها.

٢- الاعتقاد الجازم بأن وجودهم (الغرب والإسلام) فى الميدان السياسى هو لخدمة الناس عامة.

• أن الغرب يجب عليه أن يقدم مساعدة العالم الإسلامى بناء على نظرة أصفى (خالية من العداوة والأحقاد) لعلاقته مع الإسلام والمسلمين، وبذلك يتسع مجال الأفكار المشتركة، ويحققان تعاونًا وصداقة طبيعية، لأن الوضع فى العالم الإسلامى لن يستمر على ما هو عليه مهما كان هذا الوضع لصالح الغرب؛ لأن العالم الإسلامى يمر فى حالة جيشان سياسى، وسيطيح بهذه الحالة وتكون هناك متغيرات مهما تنكر الغرب لبحث مستقبل متغير للعالم الإسلامى، وننظر إلى باكستان وإيران كنموذجين، عصريين ومن ثم فالإسلام يعتبر شريكا صلبًا للغرب.

والغرب إذا سلك سبيل الحكمة وكان واضحًا فى مواقفه وتفكيره، فإن أى عوائق تنتج عن تحولات العالم الإسلامى ستكون عوائق عادية تتعلق بفترة انتقالية وبذلك يكون الأهم اقامة علاقات تعاون مع الإسلام والمسلمين.

• الأخذ بالحياة الدنيا والآخرة: إن الغرب سائر نحو مزيد من التفكك لأسباب مختلفة، مما يخفف روح الانتماء الجماعى ،الأمر الذى يؤدى إلى تفاقم مشكلة العنف والقوة التى تظهر من خلال انتشار وسائل العنف كالأسلحة ووسائل التخفيف من ضبط النفس وتدمير الاتزان مثل المخدرات والكحول، ومع أن حياة الغرب قد أصبحت أكبر متعة مما سبق، إلا أن شعورًا يطفو على الساحة الآن بأن الحياة أصبحت أقل أنسًا وأكثر انطواء على المخاطرة، وإن هذا التفكك والمشكلات الناجمة عنه تدفع الغرب الآن للبحث عن طريقة تنظم روح المبادرة الفردية ضمن نظام أخلاقى خلاق، وإلا فالغرب قد يستيقظ فى القرن ٢١ ليجد أن الكفاءة والفعالية لم تكونا طريقه للحياة السعيدة، والسبب ان حركة الإصلاح فى الغرب ركزت على الفردية، وخلال قرنين كانت الفردية تعمل داخل نظام مسيحى، لكن هذا النظام بدأ يتحطم مع حركة التنوير الفلسفية فى القرن الثامن عشر، عندما ظن إنسان الغرب أن عقل الإنسان وحده يستطيع الإجابة على كل الأسئلة، وأن الطاقة الفردية تركت دون دليل أخلاقى فى مسائل السياسة والاقتصاد.

لذلك يجب على الغرب إعادة بناء نظام أخلاقى خلاق، ومن ثم الأخذ بالحياة الغيبية والحياة اليومية معًا، بل لابد من ارتباط الحياتين معا، مثلما هو موجود فى الإسلام الذى

يتميز عن جميع الثقافات الأرضية، والإسلام يأخذ بهما معًا (الحياة الدنيا والآخرة)، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [القصص : ٧٧] ، وأن الغرب إذا عاد ليأخذ بالحياتين معًا سيجد فرصة أفضل لحل مشكلاته من جهة، وسيضيق الفجوة بينه وبين مليار وثلث مليون مسلم فى العالم، ومن ثم نجد الفرصة سانحة (مهيئة) للتقارب والتفاهم والتعاون لا للتنازع والشقاق بين الإسلام والغرب.

## أطاريح فوكوياما(نهاية التاريخ):

يقدم المفكر الأميركى من أصل يابانى فى كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" فوكوياما صورة لما يتوقعه ما بعد نهاية القرن العشرين: [1].

- فوكوياما يجد فى انهيار الشيوعية انتصارًا للرأسمالية الغربية. ومما لا شك أن فوكوياما يشكل مدعاة للسخرية بين مفكرى الغرب، ولكن الأيديولوجية الإعلامية الغربية وجدت فى أطاريحه مادة تسوغ بها سياسات الغرب الرعناء.

- فوكوياما لا يزال يؤمن بالإمبراطوريات القوية، وأنه يجد فى أميركا وامتدادها الاقتصادى والقيمى (أوربا) أنهما يمثلان الدورة النهائية للبشرية وتاريخها ،ويجد أن الإنسان الغربى هو الإنسان الكامل الأخير.

- فوكوياما ينظر إلى الأيديولوجيات غير الغربية بالتعالى والفوقية. لكن التاريخ الإنسانى لا يبشر بديمومة النظرة المتعالية أو الهرمية الشعوبية (أو الأممية) ،فالشعوب غير الغربية لن تيأس إلى الدرجة التى يتصورها فوكوياما .. فالتعالى الغربى لا يمثل بعدًا أبعد من مكابرات الشيخوخة وأعراضها. فهذه الشعوب ـ غير الغربية - ليس لها حق حتى فى الوصاية على نفسها برأي الغرب. فالغرب يرفض انضمام أى منها إلى دائرته، ولكنه فى نفس الوقت يحرص كل الحرص على دراسة مخاطر أى دائرة أخرى قد تشكل كبحًا لتسلطه. ومثال ذلك "المثال التركى" ، يوضح هذا الأمر إلى حد بعيد، فتركية لا تزال مرفوضة من بروكسل، ولكن الغرب حريص على إبقاء تركية فى موقع الرافض، فالغرب الأوربى يريد تركيا تابعًا لا حليفًا، وكذلك بالنسبه لكل الشعوب والدول غير الغربية والتى فيها الدول الإسلامية، حتى اليابان التى حققت منافسة متفوقة فى المجال

---

(١) جودت سعيد: مرجع سابق، ص١٨٤-١٨٧ .

الاقتصادي لا تزال بعيدة عن التحالف مع الغرب. كذلك مجموعة الفهود الآسيوين الأربعة "النمور الآسيوية" في تنميتها السريعة تقلق الغرب، لا لأنها تعادى تصوراته أو تقاوم قيمه ومفاهيمه، لكن تنميتها السريعة قد تجعلها ندًّا للغرب.

**ومن ثم لا يكون أمام الغرب إلا أحد خيارين:**

**الأول:** أن يدخل معها في تحالف وتفاهم.

**الثاني:** أن تكون المواجهة محمومة وربما دامية.

الذي يهمنا هنا: أن الشيوعيين حلموا يوما بإنهاء التاريخ أو إيقاف سيره عند مرحلة معينة، ثم جاء التاريخ واكتسحهم، وكنسهم بمكنسته، وانتهى " الاتحاد السوفيتي " وسقطت الشيوعية، وتبخرت أحلامها، وظلت عجلة التاريخ تدور.

ثم فاجأ العالم – فرنسيس فوكوياما – بكتابه " نهاية التاريخ " الذي ظهر في سنة ١٩٩٣م. وقد انتهى التاريخ في – رأيه – لحساب القوى الرأسمالية والليبرالية الديمقراطية واقتصاد السوق الحر، وأن هذا ما يفرضه منطق العلوم الطبيعية الحديثة، بعد أن أخفقت كل أشكال الحكم السابقة، لا سيما الشيوعية، ووصل العالم بأسره إلى ما يشبه الإجماع بأن الليبرالية الرأسمالية الديمقراطية هي النظام الصالح للحكم. فإلى هذه النتيجة انتهى سير التاريخ، وحط رحاله، على نحو ما قاله الشاعر العربي:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قرّعينا بالإياب المسافر

على أن الشرائع السماوية الثلاثة: اليهودية، والمسيحية والإسلام، كلها تؤمن بنهاية التاريخ على غير ما ذكره فوكوياما. فهي جميعا تنتظر " مسيحا " يبعثه الله أو ينزل من السماء، ويقيم دين الله في أرض الله، وينشر العدل والخير، ويحارب الفساد والظلم.

ونحن المسلمين نؤمن بنزول المسيح في آخر الزمان، وأنه سيملأ الأرض عدلا وخيرا وبركة، وسيحكم بشريعة الإسلام، ولكنا لا نعرف متى يكون ذلك، فهو من علامات الساعة الكبرى التي لا يعلم موعدها إلا الله تعالى.

وقد هلل المهللون، وطبل المطبلون لهذا الكتاب عند ظهوره، واحتل مساحة واسعة في ساحة النقاش والجدل بين المثقفين في أنحاء العالم، بين مؤيد ومعارض.

هذا مع أنه يقوم على فرضية لم يسندها دليل قوي من علم أو منطق أو واقع. وفشل

الشيوعية ونظامها الاقتصادي والسياسي الاستبدادي، لا يكفي ليكون دليلا على صواب مقابلها الرأسمالي الليبرالي.

ولم لا يكون هناك نظرية أخرى، ونظام آخر أو منهاج آخر، لا هو رأسمالي ولا شيوعي، ولا هو ديكتاتوري ولا ليبرالي، بل يأخذ أفضل ما في النظامين، ويتجنب أسوأ ما فيهما، فلا هو فردي ولا جماعي، وإنما هو نظام متوازن يقوم على الوسطية والجمع بين الثنائيات أو المتقابلات التي يجد كثير من الناس إلتقاءها ضربا من المحال، مثل المادية والروحية، والمثالية والواقعية، والربانية والإنسانية، والفردية والجماعية، والدنيوية والأخروية، والقدرية والحرية، والعقل والوحي، والنص والاجتهاد، والحق والواجب، والثبات والتطور.

وهذا هو المنهج المتكامل الذي يقدمه الإسلام للبشرية، رحمة للعالمين وهداية للحائرين، وعدلا وإخاء وسلاما للناس أجمعين[1].

**بين هينتنجتون وفوكوياما( صدام الحضارات ونهاية التاريخ):**

- ربما لا يختلف هينتنجتون عن فوكوياما فى طرحه عن الأيديولوجيات.
- أطاريح هينتنجتون تدور حول صدام الحضارات، ويلتقط هينتنجتون الخيط ويقرر أن الصدام بين الحضارات هو الذى سيحكم الشئون السياسية فى العالم، وأن الخطوط الفارقة بين الحضارات خطوط القتال فى المستقبل، وأن الحرب العالمية الثالثة ستكون حربًا بين الحضارات[2].

الذي يهمنا هنا: لم تكن تمضي سنتان على كتاب " فوكوياما " وما أحدثه من ضجة وصخب في دنيا الفكر والثقافة والسياسة، حتى خطف الأضواء كتاب آخر لمؤلف آخر "صمويل هينتنجتون" أستاذ في العلوم السياسية بجامعة هارفارد الشهيرة والكتاب سمي "صدام الحضارات" أو صراع "الحضارات". وكثرت حول الكتاب المناقشات وتوالت التعقيبات، ما بين مؤيد ومعارض، كليا أو جزئيا، في أمريكا نفسها، وفي أوروبا وفي آفاق العالم ومنه العالم الإسلامي والعربي.

وهذا ما جعل الكاتب ذاته يعقب على المعقبين، ويضيف أفكارا جديدة على كتابه الذي كان في الأصل مقالة مطولة في مجلة " الشؤون الخارجية " القريبة من وزارة الخارجية

(١) يوسف القرضاوي: المسلمون والعولمة، مرجع سابق، ص١٠٨ - ١٠٩ .
(٢) جعفر عبد السلام: نحو بلورة معاصرة للعلاقة بين الإسلام والآخر، مرجع سابق، ص٣٨.

الأمريكية، إلا أنه أحدث الدوي، وسحب البساط من تحت " نهاية التاريخ ".

وتقوم فكرة " هيتنجتون " على أن التاريخ لم ينته، ولم ينته الصراع فيه، ولم تغلق ملفاته بسقوط الاتحاد السوفيتي، بل لا زال الصراع كامنا، وأسبابه قائمة، ولكن أسباب الصراع ليست بسبب الأيديولوجيات المختلفة والمتناقضة كالشيوعية الدكتاتورية، والرأسمالية الليبرالية، ولا بسبب المصالح الاقتصادية المتعارضة للدول المختلفة.

لكن الصراع سيكون سببه اختلاف الحضارات، فالصراع والحروب قديما بين الملوك والأباطرة بعضهم البعض بسبب الأطماع والرغبة في التوسع، ثم بعد الثورة الفرنسية أصبح الصراع والحروب بين الدول والأمم بسبب تعارض المصالح، ثم أصبح سبب الصراع بين الأيديولوجيات المتناقضة، مثل الرأسمالية والشيوعية كالنزاع بين أمريكا وحلفائها وروسيا وحلفائها.

أما حروب المستقبل فيرى " هينتيجتون " بعد سقوط الاتحاد السوفيتي أنها حروب حضارات متباينة وخصوصا الحضارات السبع " الحضارة الغربية، الكونفوشيسية، واليابانية، والإسلامية، والهندية، والسلافية الأرثوذكسية، والأمريكية اللاتينية "، ومما يحمد لـ" هيتنجتون " أنه اعترف أن العالم به حضارات مختلفة، يتميز بعضها عن بعض، وهذا أمر مهم، يرد على الذين يزعمون أنه لا توجد اليوم إلا حضارة واحدة أو ثقافة واحدة هي الحضارة الغربية أو الثقافة الغربية. كذلك ما يحمد لـ" هيتنجتون " أنه اعترف بالحضارة الإسلامية كواحدة من أبرز الحضارات القائمة والمؤثرة في العالم. وهي حقيقة لا ريب فيها، والواقع أن كل ما ذكره " هيتنجتون " من حضارات، إنما يغطي به ما يهدف إليه بالفعل من الصراع المخبوء والمخوف، وهو الصراع مع الحضارة الإسلامية، أو قل بصراحة مع الإسلام. ولقد ذكر " هينتيجتون " أن الحضارات اليابانية والهندية والأرثوذكسية يسهل التفاهم والتقارب معها إلا حضارتين اثنين اثنتين: الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية " اللونفوشيسية " [1].

**الإسلام وهواجس الغرب:**

بيدهام يعتبر هيتنجتون هو الذي مهد للخوف الفكرى من الإسلام ويعيد أصول الخوف من الإسلام إلى أمرين:

الأول: تاريخى، ويتعلق بتاريخ الصراع بين الجارين والمسيرة الطويلة من تبادل الجراح.

---

(١) يوسف القرضاوي: المسلمون والعولمة، مرجع سابق، ص١١٢ - ١١٤.

الثاني: يتمثل فى نهضة وتصاعد الأصولية الإسلامية التى تكن العداء لكل ما هو غربى أو يمت إلى الغرب بصلة.

ولكن هناك جوانب أكثر أهمية وأكثر خطورة بالنسبة للغرب، تجعله غير فى آمن، وهذه الجوانب التى تستدعى مخاوف الغرب إزاء عالم شاسع، واسع الإمكانات والطاقات، ويستند إلى تجربة تاريخية مميزة، لذلك فإنه قادر على قلب موازين القوى.

من هذه الجوانب:

١- النمو السكانى المتزايد للبلدان الإسلامية والمعدلات العالمية لهذا النمو.

٢- تزايد أتباع الديانة الإسلامية فى الغرب عبر المعدلات المرتفعة للولادات.

٣- تزايد عدد الداخلين فى الإسلام من سكان هذه البلاد، فقد أشارت هيئة الإذاعة البريطانية إلى ظاهرة اعتناق الدين الإسلامى بين الشعوب البريطانية، إذ يدخل إلى الدين الإسلامى أكثر من ١٠٠٠٠ آلاف شخص سنويًا، وكذلك أصبح تعداد المسلمين فى فرنسا فى المرتبة الثانية بعد المسيحية، وأصبح لهم ثقل وتأثير على الصعيدين الداخلى والخارجى للسياسة الفرنسية، والولايات المتحدة الأمريكية أيضًا تشهد تزايدًا ملحوظًا لأعداد المسلمين، إضافة الى نمو قوتهم وتأثيرهم وإمكاناتهم الإعلامية ونشاطاتهم. ناهيك عن ألمانيا والدول الإسكندنافية وأميركا اللاتينية وكندا ... وغيرها[١].

ونجد إحصاءً تقديريًا لعدد أتباع الديانات فى العالم عام ٢٠٠٠، إذ يأتى الاسلام فى الصدارة بـ(١١٢٥ مليون نسمة) وبعده الكاثوليكية بمليار ونيف، ثم الهندوسية بـ(٨٥٠ مليون نسمة)، فالبروتستانتية بما يقارب (٦٠٠ مليون نسمة)، فالبوذية بـ(٣٥٠ مليون نسمة)، فالأرثوذكس الكاثوليك بـ(٢٥٠ مليون نسمة)، فديانات صينية بـ(١٥٠ مليون نسمة). وهذه الإحصائية تشير بوضوح أن الإسلام يتصاعد بشكل مذهل منذ عام ١٩٧٠، فالخط البيانى يقارب الخط العمودى بينما يوضح الجدول أن بعض الديانات تشهد تناقصًا[٢].

(١) جودت سعيد: مرجع سابق، ص٢١٩ .
(٢) مجلة اليونسكو، ع١٢، ١٩٩٤.

جدول رقم (١)

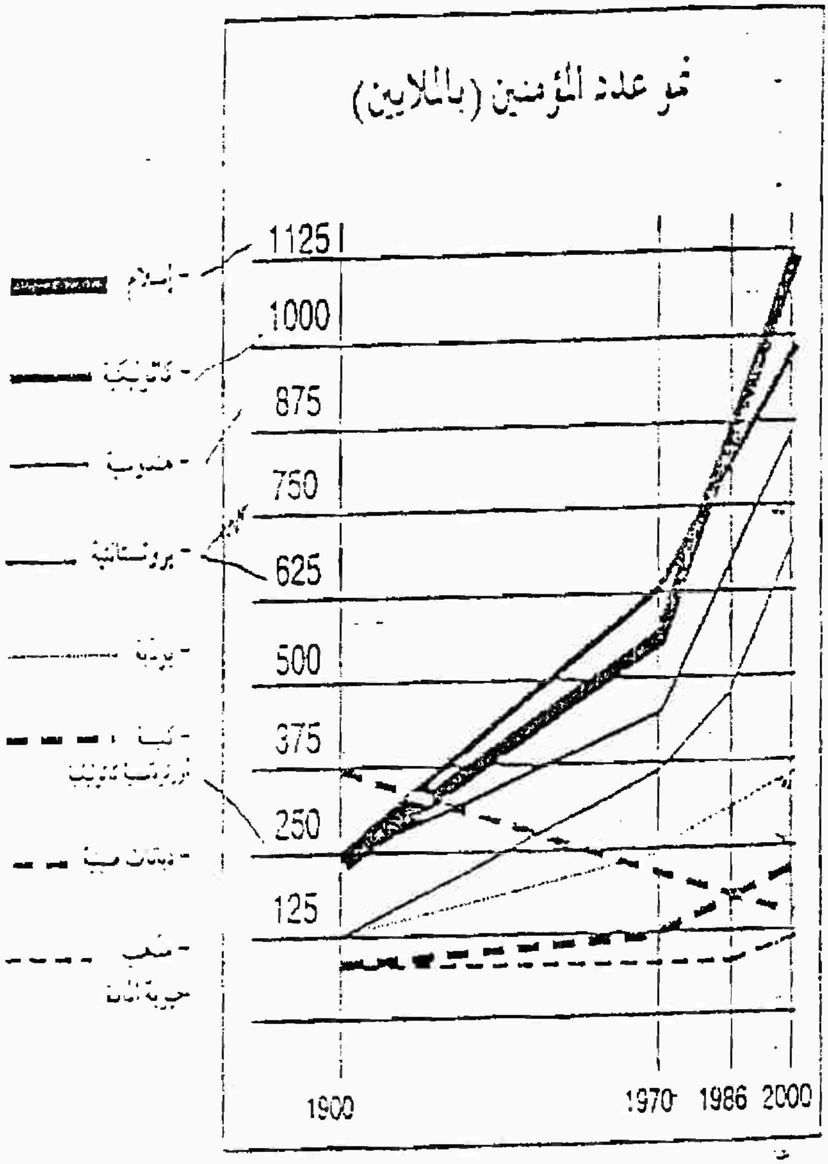


ويرى هؤلاء الكتاب أن المسلمين يمثلون خطرًا سياسيًا وحضاريًا وسكانيًا، لأنهم يتزايدون بكثرة ويتواجدون فى كل مكان فى العالم. وتنادى هذه الأفكار بأن تعلن أوربا الحرب ضد الإسلام. وأبرزت كتابات أخرى أن المسلمين متحجرون ويزعمون أن كتابهم المقدس

يمكن أن يحكم تصرفات البشر فى القرن الواحد والعشرين، كما أنهم لا يقبلون فكرة الديمقراطية، وترى هذه الكتابات أن الإسلام بطبيعته خطر على الحضارة الغربية ولا يتسامح مع مخالفيه فى الرأى وهكذا.

ومن ثم فحقيقة الأزمة التى نمر بها اليوم ـ كعالم إسلامى وعربى ـ ترجع إلى فكرة غربية هى: أن كل ما يخالف الغرب فى رؤاه وأساليبه ونظامه القيمى والأخلاقى متخلف وخطير بالضرورة ؛ لذا شنت قوى فكرية وثقافية وسياسية هجومًا شرسًا ضد الإسلام والمسلمين باعتبارهم الغول الجديد الذى يهدد بالتهام الديمقراطية والتمدن والحضارة الغربية.

وهناك جانب آخر يشير إلى أن العالم الإسلامى لن يبقى أسير السياسات الغربية، وما اخترعته من مؤسسات الشرعية الدولية، التى تسوغ بها ما تريد، والعالم الإسلامى اليوم ليس عالم الإسلام فى القرن السادس عشر الذى كان ممزقًا ومستكينًا يخلد إلى أفكاره يجترها فى بلاده ووهن، فهو اليوم على الرغم من أزماته وإرهاصته ومشكلاته، يظهر أكثر وعيا، وأكثر مناهضة للسيطرة الغربية وخاصة التقليدية، فالواقع الإسلامى يتزود من فقدان الثقة التاريخى ما يكشف له خلفيات سياسات الغرب، وأشكال الخضوع التى يبديها الإسلام والمسلمون لا تعبر عن استكانته وبلادته، إنما تعبر عن عمق أزمته ومشكلاته.

ونلاحظ من الجدول السابق أن الإحصائية توزع المسيحيين ولا تجمعهم ضمن إطار الديانة المسيحية، وهذا أمر بالغ الدلالة، إذ يرمى هذا الجدول البيانى إلى إظهار الإسلام كخطر يوشك أن يبتلع العالم أو يتسيده، وإذا قارنا هذا الإحساس مع الصورة الكالحة التى يتبناها الغرب عامة للإسلام، فسنجده مسوغًا كافيًا لإثارة مخاوف الغرب.

والغرب يدرك أن للإسلام أسسًا لا يمكن إنكارها، ومظاهر لا يمكن إهمالها، فإذا قارنا بين الدعوة إلى الإسلام والتبشير المسيحى الذى يمارسه الغرب ، فسنجد أن الدعوة الإسلامية فى أوربا تنتشر فى وسط يتمتع بالحريات والثقافة العالية والدور الحضارى والرفاهية المعيشية، بينما تمارس مؤسسات التبشير الغربية دعوتها الى الدين المسيحى فى إطار نظام إستعمارى أو تسلطى غالبًا، إضافة إلى تركيز هذه الحملات فى الأوساط التى تعانى الفقر والجهل والانعزال.

وفى الفصل التالى نعرض لأهم مبادىء الإسلام السمحة فى تعامله مع الآخرين

(الغرب)، من حيث الإسلام، والعولمة والعلمانية، والمسلمين والغرب، لماذا ننفتح على الغرب، ماذا نطلب من الغرب، منطلقات الإسلام للدعوة والعالمية ، الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى ، علاقة الإسلام بالغرب، تصحيح صورة الإسلام بالغرب .